

الكشاف

والسبط : الحافد . وكان الحسن والحسين سبطي رسول الله ﷺ " والأسباط " حفدة يعقوب ذراري أبنائه الاثني عشر " لا نفرق بين أحد منهم " لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى . و " أحد " في معنى الجماعة . ولذلك صح دخول " بين " عليه . " بمثل ما آمنتم به " من باب التبكيت لأن دين الحق واحد لا مثل له وهو دين الإسلام " ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه " آل عمران : 185 ، فلا يوجد إذا دين آخر يماثل دين الإسلام في كونه حقا حتى إن آمنوا بذلك الدين المماثل له كانوا مهتدين فقيلا : فإن آمنوا بكلمة الشك على سبيل الفرض والتقدير أي : فإن حصلوا دينا آخر مثل دينكم مساويا له في الصحة والسداد فقد اهتدوا . وفيه أن دينهم الذي هم عليه : وكل دين سواه مغاير له غير مماثل لأنه حق وهدى وما سواه باطل وضلال . ونحو هذا قولك للرجل الذي تشير عليه : هذا هو الرأي الصواب فإن كان عندك رأي أصوب منه فاعمل به وقد علمت أن لا أصوب من رأيك . ولكنك تريد تبكيت صاحبك وتوقيفه على أن ما رأيته لا رأي وراءه . ويجوز أن لا تكون الباء صلة وتكون باء الاستعانة كقولك : كتبت بالقلم وعملت بالقدوم أي فإن دخلوا في الإيمان بشهادة مثل شهادتك التي آمنتم بها . وقرأ ابن عباس وابن مسعود : بما آمنتم به وقرأ أبي : بالذي آمنتم به " وإن تولوا " عما تقولون لهم ولم ينصفوا فما هم إلا " في شقاق " أي في مناوأة ومعاندة لا غير وليسوا من طلب الحق في شيء . أو : وإن تولوا عن الشهادة والدخول في الإيمان بها " فسيكفيهم الله " ضمان من الله لإظهار رسول الله ﷺ عليهم وقد أنجز وعده بقتل قريظة وسبيهم وإجلاء بني النضير . ومعنى السين أن ذلك كائن لا محالة وإن تأخر إلى حين " وهو السميع العليم " وعيد لهم أي يسمع ما ينطقون به ويعلم ما يضمرون من الحسد والغل وهو معاقبهم عليه . أو وعد لرسول الله ﷺ بمعنى : يسمع ما تدعو به ويعلم نيتك وما تريده من إظهار دين الحق وهو مستجيب لك وموصلك إلى مرادك .

" صبغة الله " ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون " " صبغة الله " مصدر مؤكد منتصب على قوله : " آمنا بالله " كما انتصب " وعد الله " عما تقدمه وهي فعلة من صبغ كالجلسة من جلس وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ والمعنى : تطهير الله لأن الإيمان يطهر النفوس . والأصل فيه أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه المعمودية ويقولون : هو تطهير لهم وإذا فعل الواحد منهم بولده ذلك قال : الآن صار نصرانيا حقا فأمر المسلمون بأن يقولوا لهم : " قولوا آمنا بالله " وصبغنا الله بالإيمان صبغة لا مثل صبغتنا وطهرنا به تطهيرا لا مثل تطهيرنا . أو يقول المسلمون . صبغنا الله بالإيمان صبغته ولم نصبغ صبغتهم .

وإنما جاء بلفظ الصبغة على طريقة المشاكلة كما تقول لمن يغرس الأشجار : اغرس كما يغرس
فلان تريد رجلا يصطنع الكرم " ومن أحسن من ا صبغة " يعني أنه يصبغ عباده بالإيمان .
ويطهرهم به من أوضار الكفر فلا صبغة أحسن من صبغته . وقوله : " ونحن له عابدون " عطف
على " آمنا با " . وهذا العطف يرد قول من زعم أن " صبغة ا " بدل من " ملة إبراهيم "
أو نصب على الإغراء بمعنى : عليكم صبغة ا لما فيه من فك النظم وإخراج الكلام عن التئامه
واتساقه وانتصابها على أنها مصدر مؤكد هو الذي ذكره سيبويه والقول ما قالت حذام .
" قل أتحتاجوننا في ا وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون أم
تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى قل ءأنتم أعلم
أم ا ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من ا وما ا بغافل عما تعملون تلك أمة قد خلت لها
ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون "